محاولات اقتحام بيروت

هناك واقعة كان لها مدلول ومعنى أرغب في ذكرها هنا. فبعد أن حاصر العدو بيروت، وفي إحدى محاولات التقدم التي قام بها على محور المتحف، وردت للعمليات المركزية معلومات تشير الى أن العدو قد تجاوز المحكمة العسكرية ببناية واحدة في المنطقة الحرام، التي كانت قائمة ما بين القوات المشتركة و«القوات اللبنانية»، والتي كانت مجردة من السلاح ومن القوات من الطرفين. تحركنا الى موقع في بناية ملاصقة، كانت توجد فيها القوات المشتركة وقوات حطين التابعة لجيش التحرير الفلسطيني. في هذه البناية، كان شبابنا قد ثقبوا الجدار، ومن فتحة الجدار، لاحظنا بالفعل حركة العدو في البناية المجاورة، وكان القرار أن يجري اخراج العدو من هذه البناية في اليوم نفسه وليس بعد ذلك. ووضعت خطة للهجوم بالقنابل اليدوية من الطوابق العليا، والهجوم بالرشاشات من الأرض. بعد أقل من ساعتين، كان العدو قد غادر هذه البناية وسمعنا الصراخ ورأينا الارباك الذي وقع في صفوف جنوده. هذه الحكاية مؤشر على أن الجندي الاسرائيلي جندي عادي، وفي بعض الحالات دون العادي. وهذا التقدير غير مبالغ فيه بل هو حقيقة، فجندي العدو يمكن أن يكون دون العادي في بعض الحالات. لانه لم يتعود، من جانبه، على أن يقاتل وأن يرى بشكل مباشر، وجهاً لوجه خصمه العربي يقاتله على الأرض. فلقد تعود التقدم على الأرض «نظيفة» من أية مقاومة، تعود التقدم على الأرض بعد أن تقوم الطائرات والمدفعية والبوارج بتنظيفها له. في هذه الحرب اكتشفت حقيقة الجندي الاسرائيلي.

ومن الوقائع التي لابد، أيضاً، من تسجيلها معارك المتحف، ومعارك ثكنة هنري شهاب وحي السلم. في المتحف، حاول العدو الهجوم عدة مرات وجرى صده في كل مرة. في واحدة من هذه المرات، سمعت بالمذياع خبراً مفاده أن القوات الاسرائيلية استطاعت التقدم في منطقة المتحف — سباق الخيل مسافة عشرة أمتار. مسافة عشرة أمتار تعني طول الدبابة، أي أن الدبابة تقدمت إلى الأمام مسافة بطولها فقط. حصل استبسال وبطولة نادرة من المقاتلين عندما كان العدو يحاول التقدم على هذا المحور. كانت المباني، الواقعة شمال ميدان سباق الخيل، هي المقتل بالنسبة للعدو، إذ كان المقاتلون بـ الـ آر.ب.ج. من الطوابق يترصدون كالصياد عندما ينتظر إطلالة الصيد. وكلما حاولت الدبابات مجرد الظهور في شارع بدارو، خلف السور، محاولة اجتياز أرض سباق الخيل، كانت قذائف الـ بـ ٧ تنطلق صوبها من كل اتجاه، أتذكر أنهم حرقوا المنطقة بالطيران والمدفعية في محاولة لتوسيع تقدمهم. بعد يوم من الغارات العنيفة على هذه المنطقة، ذهبت لزيارة قائد كتيبة جيش التحرير الفلسطيني في ذلك الموقع المقدم عطية، كنت أظن أن مقاتليه لن يخرج منهم أحد حياً لكثافة النيران من مختلف الأنواع والعيارات المنصبة عليهم، وذهلت عندما وصلت الى هناك فعلمت أن خسائر الموقع كانت شهيدين فقط. كانت التحصينات المشيدة والمموهة بشكل جيد عنصراً أساسياً في حماية المقاتلين وصمودهم في مواقعهم، وتصديهم لكل هجمات العدو على هذا المحور.

عندما أحرز العدو اختراقاً من منطقة المطار باتجاه ثكنة هنري شهاب، وأمكنه